سلسلة التسهيل لطالب علم التأصيل.. (١)

اختِصارُ شَرْحِ ثَلَاثَةِ الأُصُوْلِ وأَدلّتِها

لفضيلة الشيخ

مُحمَّد بن صَالح العُثَيمِين

رحمه الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا اختصار لشرح العلامة محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله– للأصول الثلاثة، قمنا بإعداده على شكل فوائد بدون إرفاقٍ للمتن؛ تيسيرًا لطالب العلم في مراجعة الشرح.

سائلين الله أن يتقبله منا بقبول حسن، وأن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه.. آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المؤلِّف –رحمه الله– كتابه بالبسملة، وذلك:

١- اقتداء بكتاب الله عز وجل فإنه مبدوء بالبسملة.

٢- واتباعًا لحديث ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر))[١].

٣- واقتداءًا بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

(بسم) الجار والمجرور متعلِّق بمحذوف فعل، مؤخر، مناسب للمقام، تقديره: "بسم الله أكتب" أو "بسم الله أصنف".

–**وقدرناه فعلاً**؛ لأنَّ الأصل في العمل الأفعال.

–**وقدرناه مؤخَّرًا لفائدتين:**

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

الثانية: إفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

–**وقدرناه مناسبًا**؛ لأنه أدلّ على المراد، فلو قلنا مثلًا عندما نريد أن نقرأ كتابًا: بسم الله نبتدئ ، ما يدري بماذا نبتدئ، لكن "بسم الله أقرأ" يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به.

الله: عَلَمٌ على الباري جل وعلا، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء.

---

١) عزاه السيوطي في الجامع الصغير "للرهاوي"٤/ ١٤٧، وأخرجه الخطيب "في الجامع"٢/٦٩. وقد أخرج الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متعددة، وقد سُئِل شيخنا العلامة محمد العثيمين –رحمه الله– عن هذا الحديث فقال: "هذا الحديث اختلف العلماء في صحته، فمن أهل العلم من صححه واعتمده كالنووي، ومنهم من ضعّفه، ولكن تلقى العلماء هذا الحديث بالقبول، ووضعهم ذلك الحديث في كتبهم يدل على أن له أصلا .." انتهى من كتاب (العلم) لفضيلة الشيخ العثيمين –رحمه الله–.

الرحمن: اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل، لا يطلق على غيره، والرحمن معناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

الرحيم: يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة.

العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

مراتب الإدراك ستة :

الأولى: العلم، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

الثانية: الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل المركب وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

الرابعة: الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

الخامسة: الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساو.

السادسة: الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

العلم ينقسم إلى قسمين: ضروري، ونظري.

فالضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريًا، بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال، كالعلم بأن النار حارة مثلًا.

والنظري: ما يحتاج إلى نظر واستدلال، كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

رحمك الله: أفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك ، فالمعنى: غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها هذا إذا أفردت الرحمة.

أما إذا قرنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل.

يتعرف العبد على ربه:

- **بالنظر في الآيات الشرعية** في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

- **والنظر في الآيات الكونية**؛ التي هي المخلوقات.

معرفة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تستلزم:

١- قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق،.

٢- تصديقه فيما أخبر.

٣- امتثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.

٥- وتحكيم شريعته، والرضا بحكمه.

الإسلام بالمعنى العام هو: التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة؛ كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل، قال الله تعالى عن إبراهيم:﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٢].

الإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يختص بما بُعِثَ به محمد صلى الله عليه وسلم. فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى صلى الله عليه وسلم، والنصارى مسلمون في زمن عيسى صلى الله عليه وسلم، وأمّا حين بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به فليسوا بمسلمين.

الأدلة: جمع دليل، وهو ما يرشد إلى المطلوب.

الأدلة على أن دين الإسلام حق: سمعية، وعقلية.

فالسمعية: ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة.

والعقلية: ما ثبت بالنظر والتأمل.

الأدلة على النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله: السمعية والعقلية.

الأدلة السمعية: مثل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الفتح:الآية٢٩]الآية. وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[آل عمران:الآية١٤٤].

والأدلة العقلية، بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات، التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام المصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها.

معرفة الله تقتضي:

١–الإيمان بالله.

٢–القيام بطاعته، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

العمل هو ثمرة العلم، فمَن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومَن عَلِمَ ولم يعمل فقد شابه اليهود.

مراتب الدعوة أربعة مراتب:

١–الحكمة. ٢–الموعظة الحسنة. ٣–الجدال بالحسنى.

والبصيرة في الدعوة إلى الله تكون: فيما يدعو إليه؛ بأن يكون الداعية: عالِمًا بالحكم الشرعي، وفي كيفية الدعوة، وفي حال المدعو.

الصبر: حبس النفس على طاعة الله ، وحبسها عن معصية الله ، وحبسها عن التسخط من أقدار الله.

الصبر ثلاثة أقسام:

١-صبر على طاعة الله.

٢-صبر عن محارم الله.

٣-صبر على أقدار الله التي يجريها، إما مما لا كَسْبَ للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.

مراتب جهاد النفس -كما ذكرها ابن القيم رحمه الله- أربع:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الدليل على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل: أثري، وعقلي نظري.

١-الدليل الأثري: قوله -تعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمد:الآية١٩].

٢-الدليل العقلي النظري: أنّ القول أو العمل لا يكون صحيحًا مقبولًا حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته

كالعلم بأنّ الله إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلُّم، أمّا المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكريس جهود.

الدليل على (أنّ الله خلقنا): سمعي، وعقلي.

١–أما **السمعي** فكثير ومنه: قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:الآية٦٢]،وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

٢–**أما الدليل العقلي** على أنّ الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]، فإنّ الإنسان لم يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئًا، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد؛ لأنّ كل حادث لا بد له من محدِث؛ ولأنّ وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتآلف يمنع منعًا باتًا أن يكون صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟! فتعيَّن بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده، فلا خالق ولا آمِر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[الأعراف:الآية٥٤].

الشافعي: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ، وهو أحد الأئمة الأربعة على الجميع رحمة الله تعالى.

البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربعة وتسعين ومائة، ونشأ يتيماً في حجر والدته، وتوفي رحمه الله في خرتنك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

الأدلة على أن الله رزقنا: من **الكتاب، والسنة، والعقل**.

١–أما الكتاب: فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾[سبأ:الآية٢٤]، والآيات في هذا كثيرة.

٢–وأما السنة: فمنها قوله صلى الله عليه وسلم في الجنين يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله، وعمله وشقي أم سعيد[١].

٣–وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا: فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:٦٣–٧٠]. ففي هذه الآيات بيان أن رزقنا طعامًا وشرابًا من عند الله عز وجل.

الأدلة على أن الله لم يتركنا هملًا: سمعية وعقلية.

١–**أما السمعية**: فمنها قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المؤمنون: ١١٥–١١٦].

٢–**وأما العقل**: فلأنّ وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل بل هو عبث محض، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام ثم تكون النتيجة لا شيء، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل.

١) البخاري، كتاب القدر . ومسلم ، كتاب القدر.

لا بد أن يرسل الله الرسل إلى الخلق؛ وذلك: لتقوم عليهم الحجة، وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه، ولا يمكن أن نعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم هم الذين بيَّنوا لنا ما يحبه الله ويرضاه، وما يقربنا إليه عز وجل، فبذلك كان مِن حكمة الله أن أرسل إلى الخلق رسلًا مبشرين ومنذرين، الدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾[المزمل:١٥-١٦].

من الأدلة على أن من أطاع الرسول دخل الجنة:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[النساء:الآية١٣]، وقوله :﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[النساء:٦٩]، والآيات في ذلك كثيرة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) فقيل : ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: ((مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار))[1].

من الأدلة على أن من عصى الرسول دخل النار:

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[النساء:١٤] وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾[الأحزاب: الآية٣٦]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[الجن: الآية٢٣]، ومِن قوله صلى الله عليه وسلم: ((ومن عصاني دخل النار)) [2].

١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسُنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢) مرجع سابق.

من الأدلة على أنّ الله لا يرضى أن يُشرَك معه أحد في عبادته، لا ملَك مقرَّب ولا نبي مرسَل:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن:١٨]، فنهى الله تعالى أن يدعو الإنسان مع الله أحدًا، والله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى، وقال الله عز وجل: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: الآية٧].

من الأدلة من الكتاب والسنة على خطورة الشرك:

قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:الآية٤٨]، .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار))[1].

من الأدلة على أنّ من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب:

قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢]، وقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

سبب عدم جواز موالاة من حاد الله: لأن موالاة من حاد الله ومداراته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف؛ لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه، وموالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال.

---

١) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب : من خص دون قوم كراهية أن لا يفهموا. ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

موالاة الكفار تكون: بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله.

الرشد: الاستقامة على طريق الحق.

الطاعة: موافقة المراد فعلًا للمأمور وتركًا للمحظور.

الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك، المبنيّة على الإخلاص لله عز وجل .

مِلَّة إبراهيم: أي طريقه الديني الذي يسير عليه؛ عليه الصلاة والسلام.

العبادة بمفهومها العام هي: التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه.

المفهوم الخاص للعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل والصلاة والزكاة، والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام.

الإخلاص: لغة: التنقية. وشرعًا: أن يقصد المرء بعبادته وجه الله عز وجل والوصول إلى دار كرامته.

الحنيفية: عبادة الله مخلصًا له الدين.

العبادة نوعان: كونية وشرعية.

العبادة الكونية: هي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني. وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى:﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[مريم:٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر، و البر والفاجر .

العبادة الشرعية: هي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي. وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاءت به الرسل، مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ [لفرقان:٦٣].

والنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان؛ لأنه بغير فعله، **لكن** قد يحمد على ما يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء، **بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه.**

التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد ، أي جعل الشيء واحدًا. وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد وإثباته له.

التوحيد في الاصطلاح: إفراد الله –سبحانه وتعالى– بما يختص به.

أنواع التوحيد ثلاثة:

الأول: **توحيد الربوبية**، وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك والتدبير، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:الآية٦٢ وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك:١]، وقال تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:الآية٥٤].

الثاني: **توحيد الألوهية**، وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدًا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه.

الثالث: **توحيد الأسماء والصفات**، وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمَّى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

العبادة لا تصح إلا لله عز وجل، ومن أخلّ بتوحيد الألوهية فهو مشرك كافر وإن أقرَّ بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة: الآية٧٢].

أعظم ما أمر الله: التوحيد؛ لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله.

وأعظم ما نهى الله عنه: الشرك؛ وذلك لأنَّ أعظم الحقوق هو حق الله عز وجل فإذا فرَّط فيه الإنسان فقد فرَّط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل.

من الأدلة على تحريم الشرك:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:الآية١٣].

وقول تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أنصار﴾[المائدة:الآية٧٢].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار))[1].

قوله عز وجل : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾[النساء:الآية٣٦]، يتضمن: إثبات العبادة له وحده. فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومَن عبد الله وعبد معه غيره فهو كافر مشرك، ومن عبدالله وحده فهو مسلم مخلص.

الشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

الشرك الأكبر: هو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمنًا لخروج الإنسان عن دينه.

الشرك الأصغر: هو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة.

الأصول: جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرغ منه الأغصان، قال الله تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[إبراهيم:٢٤].

---

١) رواه ومسلم ، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

الأسباب التي تسوقنا لمعرفة الله –عز وجل–:

١–**النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل**، فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته، وحكمته، ورحمته، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأعراف:الآية١٨٥].

٢–**النظر في آياته الشرعية**: وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولافي الآخرة إلا بها،

٤– **ما يلقي الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى** حتى كأنه يرى ربه رأي العين، قال النبي –عليه الصلاة والسلام– حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال : ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[1].

التربية: هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربَّى.

العالَم: كلُّ من سوى الله، وسمُّو عالمِا لأنهم عَلَمٌ على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد.

الآيات: جمع آية، وهي العلامة على الشيء التي تدلُّ عليه وتبيِّنه.

آيات الله تعالى نوعان: كونية وشرعية.

فالكونية: هي المخلوقات. **والشرعية**: هي الوحي الذي أنزله الله على رسله.

الرب: هو الخاق المالِك المدبر لجميع الامور.

١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب: بيان أركان الإيمان والإسلام.

معنى (الرب هو المعبود): أي هو الذي يستحق أن يُعبَد، أو هو الذي يُعبَد لاستحقاقه للعبادة، **وليس المعنى أن كل من عُبِدَ فهو رب**؛ فالآلهة التي تُعبَد من دون الله واتخذها عُبَّادها أربابًا من دون الله ليست أربابًا. والرب هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور .

الدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة: قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢].

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هذه صفة كاشفة تعلِّل ما سبق؛ أي اعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم؛ فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزامًا عليكم أن تعبدوه، ولهذا: يلزم كل من أقرَّ بربوبية الله أن يعبده وحده و إلا كان متناقضًا.

من أنواع العبادة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهذه الثلاثة: "الإسلام، والإيمان، والإحسان" هي الدين؛ كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: ((بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا))، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ؟ قَالَ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: ((أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: ((مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ))، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: ((أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ))، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: ((يَا عُمَرُ

أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلَ؟)) قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِيْنَكُمْ))[1] فجعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأشياء هي الدين؛ وذلك أنها متضمِّنة للدين كله.

وجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] على أنّ الدعاء عبادة من صرفه لغير الله فهو مشرك كافر:

أنّ الله تعالى أخبر أن المساجِد –وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود– لله، ورتَّب على ذلك قوله: ﴿فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له.

وجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧]على أنّ الدعاء عبادة من صرفه لغير الله فهو مشرك كافر:

أن الله سبحانه وتعالى بيَّن أن من يدعو مع الله إلها آخر فإنه كافر؛ لأنه قال: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، وفي قوله: ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ إشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون برهان على تعدُّد الآلهة، فهذه الصفة "لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ" صفة كاشفة، مبيِّنة للأمر، وليست صفة مقيِّدة تُخرِج ما فيه برهانٌ؛ لأنه لا يمكن أن يكون برهان على أن مع الله إلهًا آخر.

---

١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإيمان والإسلام.

وجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠] على أن الدعاء عبادة:

دلت الآية على أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، سواء كان المدعو حيًا أو ميتًا، ومن دعا حيًا بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني ، يا فلان اسقني، فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائبًا بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا، فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفًا في الكون؛ فيكون بذلك مشركًا.

الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة: هو دعاء الطلب، أي طلب الحاجات.

وهو عبادة إذا كان من العبد لربه؛ لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى، واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة.

ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة، كما سبق في قوله القائل: يا فلان أطعمني.

وأما دعاء العبادة فأن يتعبد به للمدعو طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه.

وهذا لا يصح لغير الله، وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة، وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:الآية٦٠] .

الخوف: هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى.

الخوف ثلاثة أنواع:

–النوع الأولى: خوف طبيعي، كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق، وهذا لا يلام عليه العبد، قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:الآية١٨].

لكن إذا كان هذا الخوف –كما ذكر الشيخ رحمه الله– سببًا لترك واجب و فعل محرم كان حرامًا؛ لأنّ ما كان سببًا لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليله قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:الآية١٧٥].

والخوف من الله تعالى يكون محمودًا، ويكون غير محمود.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله، بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط، وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.

–النوع الثاني: خوف العبادة، أن يخاف أحدًا يتعبد بالخوف له، فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

–النوع الثالث: خوف السر ،كأن يخاف صاحب القبر، أو وليًا بعيدًا عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر؛ فهذا أيضًا ذكره العلماء من الشرك.

الرجاء: طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال؛ تنزيلًا له منزلة القريب.

–والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل، وصرفه لغير الله تعالى شرك؛ إما اصغر، وإما أكبر، بحسب ما يقوم بقلب الراجي.

والرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته.
وأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.

التوكل على الشيء: الاعتماد عليه.

التوكل على الله تعالى: الاعتماد على الله تعالى كفايةً وحسبًا في جلب المنافع ودفع المضار.

وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى:﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:الآية٢٣]، وإذا صدق العبد في اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهمَّه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:الآية٣].

التوكل أنواع:

الأول: التوكل على الله تعالى، وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني: توكل السر، بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة أو دفع مضرة، فهذا شرك أكبر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سريًا في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبيًا أو وليًا، أو طاغوتًا عدوا لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير، مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه، مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه، فهذا نوع من الشرك الأصغر؛ لقوة تعلُّق القلب به والاعتماد عليه.

أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل، بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة، فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.

الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

الرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل.

الخشوع: الذل والتَّطامُن لعظمة الله، بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

الدعاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة؛ فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعًا في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم.

المؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، **ويغلب الرجاء في جانب الطاعة** لينشط عليها ويؤمل قبولها، **ويغلب الخوف** إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وفي حال الصحة يكون نشيطًا مؤمِّلًا طول البقاء فيحمله ذلك على الأَشَرِ والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحدًا سواء؛ لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله تعالى، وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه .

الخشية: هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:الآية٢٨]، فهي أخص من الخوف. **وأقسام أحكام الخشية مثل أقسام أحكام الخوف**.

الفرق بين الخوف والرهبة والخشية:

الخوف: هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى.

الرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل.

الخشية: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:الآية٢٨].

الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى؛ بالقيام بطاعته واجتناب معصيته.

وهي قريبة من معنى التوبة، إلا أنها أرق منها؛ لِمَا تُشعِر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه.

ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر:الآية٥٤].

الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني، وهو الاستسلام لحكمه الكوني، وهذا عام لكل من في السموات والأرض من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران:الآية٨٣] .

الثاني: إسلام شرعي، وهو الاستسلام لحكمه الشرعي. وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان.

الاستعانة: طلب العون.

أنواع الاستعانة:

الأول: الاستعانة بالله، وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته، وهذه لا تكون إلا لله تعالى، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ووجه الاختصاص: أن الله تعالى قدَّم المعمول ﴿إياك﴾، **وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن: أنّ تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص**، وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركًا مخرجًا عن الملة. ومن أدلة السنة قوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا استعنت فاستعن بالله)).

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه، فهذه على حسب المستعان عليه، فإن كانت على برٍّ فهي جائزة للمستعين، مشروعة للمعين؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:الآية٢].

وإن كانت على إثم؛ فهي حرام على المستعين والمعين، لقوله تعالى: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثم وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:الآية٢].

وإن كانت على مباح؛ فهي جائزة للمستعين والمعين، لكن المعِين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:الآية١٩٥].

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر؛ فهذه لغو لا طائل تحتها، مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقًا، أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته، فهذا شرك؛ لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى، وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾[البقرة:الآية١٥٣].

الاستعاذة: طلب الإعاذة، والإعاذة: الحماية من مكروه، فالمستعيذ محتم بمن استعاذ به ومعتصم به.

أنواع الاستعاذة:

الأول: الاستعاذة بالله تعالى، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء. ومن الأدلة عليها قوله تعالى:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢] إلى آخر السورة.

الثاني: الاستعاذة بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك، وومن الأدلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق))[١] .

الثالث: الاستعاذة بالأموات، أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ؛ فهذا شرك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[الجن:٦].

الرابع: الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها؛ فهذا جائز، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر الفتن: ((من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليَعُذْ به))[٢] متفق عليه.

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.

الاستغاثة: طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك.

أقسام الاستغاثة:

---

١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء ، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن. باب: تكون الفتنة القاعد فيها خير من القائم. ومسلم ، كتاب الفتن ، باب : نزول الفتن كمواقع القطر.

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها، وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: الآية:٩].

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة؛ فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون فيجعل لهم حظًا من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة؛ فهذا جائز، كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[القصص:الآية١٥].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية، مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول؛ فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به، فيُمنَع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى: وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيرُه فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

الذبح: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

يقع الذبح على وجوه:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه؛ فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، ودليله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لا شَرِيكَ لَهُ﴾ .

الثاني: أن يقع إكرامًا لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف: ((أَولِم ولو بشاة))[٢].

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك؛ فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٧١-٧٢]، وقد يكون مطلوبًا أو منهيًا عنه حسبما يكون وسيلة له.

وجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[الإنسان:٧] أن النذر عبادة: أن الله أثنى عليهم لإيفائهم النذر، وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة، ويؤيد ذلك قوله : ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ .

والنذر الذي امتدح الله تعالى هؤلاء القائمين به هو جميع العبادات التي فرضها الله عز وجل، فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها الإنسان فقد التزم بها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

النذر الذي هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما أو طاعة لله غير واجبة؛ مكروه، وقال بعض العلماء إنه محرم لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال: ((إنه لا يأتي بخير، وإنما يُستخرَج به من البخيل))[٣]. ومع

١) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم ، كتاب اللقطة ، باب: الضيافة ونحوها.

٢) أخرجه البخاري ، كتاب البيوع ، باب: ما جاء في قوله تعالى : "فإذا قضت الصلاة" . مسلم ، كتاب النكاح ، باب : الصداق وجواز كونه تعليم القران وخاتم الحديث.

٣) أخرجه البخاري ، كتاب القدر ، باب: إلقاء العبد النذر إلى القدر. ومسلم ، كتاب النذر ، باب : النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَن نذر أن يطيع الله فليطعه))[1].

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، فهو متضمن لأمور ثلاثة.

الاستسلام الشرعي: يكون بتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب عليه.

الاستسلام القدري: فلا ثواب فيه؛ لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران:٨٣] .

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ركن واحد، وإنما كانتا ركنًا واحدًا مع أنهما من شقين؛ لأنّ العبادات تنبني على تحقيقهما معًا، فلا تُقبَل العبادة إلا:

١- بالإخلاص لله عز وجل، وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله.

٢-واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما تتضمنه شهادة أن محمدًا رسول الله- .

شهادة "لا إله إلا الله" مشتملة على نفي وإثبات: أما النفي فهو "لا إله" وأما الإثبات فهو "إلا الله".

إشكال: كيف يقال "لا إله إلا الله" مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سماها الله تعالى آلهة وسماها عابدوها آلهة قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[هود:الآية١٠١]، وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:الآية٥٩].

---

١) رواه البخاري ، كتاب الإيمان والنذور ، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية.

والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في " لا إله إلا الله" فنقول: هذه الآلهة التي تُعبَد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]. إذن فمعنى "لا إله إلا الله" لا معبود حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقة أي ألوهية باطلة.

من الأدلة على تفسير التوحيد:

–الآية الأولى: قوله –تعالى–: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٢٨].

﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ هو خليل الله إمام الحنفاء، وأفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وأبوه آزر.

﴿بَرَاءٌ﴾ صفة مشبهة بالبراءة، وهي أبلغ من بريء. وقوله :﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يوافي قول "لا إله" .

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي خلقني ابتداء على الفطرة، وقوله:﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يوافي قوله "إلا الله"، فهو سبحانه وتعالى لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:الآية٥٤]، ففي هذه الآية حصر الخلق والأمر لله رب العالمين وحده فله الخلق وله الأمر الكوني والشرعي.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيدلني على الحق ويوفقني له.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي هذه الكلمة وهي البراءة من كل معبود سوى الله.

﴿فِي عَقِبِهِ﴾ في ذريته.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي إليها من الشرك.

–الآية الثانية: قوله –تعالى–: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضانا بعضًا أربابًا من دون الله فلا نعبد إلا الله هي معنى "لا إله إلا الله"، ومعنى ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أننا نحن وإياكم سواء فيها.

﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي لا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله عز وجل بحيث يعظَّم كما يعظَّم الله عز وجل، ويعبَد كما يعبَد الله، ويُجعَل الحكم لغيره.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عما دعوتموهم إليه.

﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي فأعلنوا لهم وأشهدوهم أنكم مسلمون لله، بريئون مما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله".

معنى شهادة "أن محمدًا رسول الله": هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله – عز وجل – إلى جميع الخلق من الجن والإنس؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان:١].

مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله:

١-أن تصدِّق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع.

٢- أن لا تعتقد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حقًا في الربوبية وتصريف الكون، أو حَقا في العبادة، بل هو صلى الله عليه وسلم عبدٌ لا يُعبَد، ورسول لا يُكذَّب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[الأنعام:الآية٥٠]، وأن حقه صلى الله عليه وسلم أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى أياها؛ وهو أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

عطْف الزكاة على الصلاة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾: هذا من باب عطف الخاص على العام، لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من العبادة، ولكنه سبحانه وتعالى نصَّ عليهما لما لهما من الأهمية، فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال، وهما قرينتان في كتاب الله عز وجل.

الحكمة من الصيام: بيَّنها الله عز وجل في بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي تتقون الله بصيامكم وما يترتب عليه من خصال التقوى، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الفائدة بقوله: ((مَن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))[1].

فُرِض الحج في السنة التاسعة من الهجرة النبوية بنزول الآية: :﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:الآية٩٧]، ولكن قوله تعالى:﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران:الآية٩٧] فيه دليل على أنّ من لم يستطع فلا حج عليه.

١) أخرجه البخاري ، كتاب الصوم، باب : من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

الدليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفرًا قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:الآية٩٧]؛ **ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء**؛ لقول عبد الله بن شقيق: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة"[١].

الإيمان في اللغة: التصديق.

الإيمان في الشرع: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح. وهو بضع وسبعون شعبة.

البضع: بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة.

الشعبة: الجزء من الشيء.

الحياء: صفة انفعالية تحدث عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة.

الجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله تعالى من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة: أن الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: ((الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[٢]. وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة، ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانًا في قوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة:الآية١٤٣].

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

---

١) أخرجه الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة.

٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإيمان والإسلام.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى:

١– الفطرة. ٢–والعقل. ٣– والشرع ٤–والحس.

١–أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه))[١].

٢–وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة، تعيَّن أن يكون لها موجِد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]

٣–وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز ، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ومسلم ، كتاب القدر، باب : ما من مولود يولد إلا على الفطرة.

٤ – وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[الأنبياء:الآية٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:الآية٩]. وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم.

مثال ذلك: آية موسى صلى الله عليه وسلم حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثنى عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[الشعراء:٦٣] .

ومثال ثان: آية عيسى صلى الله عليه وسلم حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[آل عمران:الآية٤٩]، وقال : ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾[المائدة:الآية١١٠].

ومثال ثالث: لمحمد صلى الله عليه وسلم حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:١–٢].

معنى الإيمان بربوبية الله: أي الإيمان بأن الله وحده الرب لا شريك له ولا معين.

الرب: مَن له الخَلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له.

لم يُعلَم أنَّ أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[النازعات:الآية٢٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[القصص:الآية٣٨]، لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[النمل:الآية١٤]

كان المشركون يقرّون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[الزخرف:٩]،

أمْر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبِّر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته؛ فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته. فمن اتخذ مع الله تعالى مشرِّعًا في العبادات أو حاكمًا في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

معنى الإيمان بألوهية الله: أي بأنه وحده الإله الحق لا شريك له.

الإله: بمعنى "المألوه" أي المعبود حبًا وتعظيمًا.

كل ما اتُّخِذَ إلهًا مع الله يُعبَد من دونه فألوهيته باطلة، وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية، قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[النجم:الآية٢٣]،

أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانَين عقليَين:

الأول: أنه ليس فيهذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعًا لعابدِيها، ولا تدفع عنهم ضررًا، ولا تملك لهم حياة ولا موتًا، ولا يملكون شيئًا من السموات ولا يشارِكون فيه، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً﴾[الفرقان:٣].

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١- ٢٢].

الإيمان بأسماء الله وصفاته: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:الآية١١].

ضلَّ في باب الأسماء والصفات طائفتان:

إحداهما: (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة، كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضًا.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلَين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلًا منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع، والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل، وأعين ولا يلزم من أتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها متماثلة. فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أَبْيَن وأعظم.

الطائفة الثانية: (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص؛ لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنّ مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلًا.

الثاني: أنّ الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكُنْه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته.

من ثمرات الإيمان بالله عز وجل:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوفًا، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل)، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالًا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل)، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي خُلِقَ عليها وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق[1].

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلًا ونهارًا بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة، مثل جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله به إلى الأنبياء والرسل، ومثل ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات، ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق، ومثل ملَك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت، ومثل مالِك الموكل بالنار وهو خازن النار، ومثل الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام، إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه بَعَثَ الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، ومثل الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال، ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

من ثمرات الإيمان بالملائكة:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

١) البخاري ، كتاب بدء الخلق، ٣٢٣٢-٣٢٣٣.

من الأدلة التي يُردُّ بها على أنكر من الزائغين كون الملائكة أجسامًا، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات:

قول الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾[فاطر:الآية ١].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إنّ الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إنّ الله يحبُّ فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضَع له القَبول في الأرض))[١].

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون، وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

كتب الله: هي الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم ، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، والإنجيل الذي أنزل على عيسى صلى الله عليه وسلم، والزبور الذي أوتيه داود صلى الله عليه وسلم. وأما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالًا.

---

١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق، باب : ذكر الملائكة . ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدَّل أو يحرَّف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسَخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[المائدة:الآية٤٨] أي (حاكمًا عليه)، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأيِّ حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقرّها القرآن.

من ثمرات الإيمان بالكتب:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[المائدة:الآية٤٨].

الرسل: جمع (رسول) بمعنى (مرسَل) أي مبعوث بإبلاغ شيء.

المراد برسل الله: مَن أُوحيَ إليه من البشر بشرع وأُمِرَ بتبليغه.

من الأدلة على أن أول الرسل نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء:الآية١٦٣]. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- في حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحًا رسول بعثه الله، وذكر تمام الحديث[1].

---

١) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : كلام الله مع الأنبياء يوم القيامة. ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب: أدنى أهل الجنة منزلًا.

من الادلة على أن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء:

قول الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهًا عند الله: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٨٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني))(١).

وصف الله تعالى رسله بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم: فقال تعالى في نوح صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾[الإسراء:الآية٣]، وقال في محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان:١].وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلم : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[ص:٤٥ – ٤٧]. وقال في عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ﴾[الزخرف:٥٩].

الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع؛ كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء:١٠٥] فجعلهم الله مكذبِين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، **وأما مَن لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالًا**.

١) أخرجه البخاري ، كتاب القبلة ، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان. ومسلم ، كتاب المساجد، باب : السهو في الصلاة والسجود له.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة مَن أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[النساء:٦٥].

من ثمرات الإيمان بالرسل:

الأولى: العلم برحمه الله تعالى وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبيِّنوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

شبهة: كذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر، وقد وأبطل الله هذا الزعم بقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾[الإسراء:٩٤ – ٩٥]، فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشرًا؛ لأنه مرسَل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكًا رسولًا، ليكون مثلهم،

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلا غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:الآية١٠٤]، دلَّ عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

ومن الأدلة على أن البعث حق ثابت:

١–قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥– ١٦].

٢–وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((يُحشَر الناس يوم القيامة حفاة غرلًا)) متفق عليه [(١)].

٣–وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة، حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء، يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه. دلّ على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

ومن الأدلة على أن الحساب والجزاء حق ثابت:

١–قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[الغاشية:٢٥ – ٢٦].

٢–ومن السنة: عن ابن عمر رضي الله عنهما– أن النبي صلى الله عليه وسلم– قال: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما

١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر. ومسلم ، كتاب الجنة ، باب: الدنيا وبيان المحشر يوم القيامة.

الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين)) متفق عليه[1].

٣–وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة، فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارِضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونسائهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزَّه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[الأعراف:٦ – ٧].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق.

يلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، مثل:

(أ) فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه.

(ب) عذاب القبر ونعيمه: فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام:الآية٩٣]، وأمّا نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠].

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم.

---

١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: قوله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين". ومسلم كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها؛ خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

الدليل على بطلان زعْم مَن أنكر أن البعث بعد الموت غير ممكن: **من الشرع ، والحس، والعقل** .

أما الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧]، وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك وهي.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما ،خالقهما ابتداء ، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم:الآية٢٧] .

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها ، قادر على إحياء الأموات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فصلت:٣٩].

الدليل على بطلان زعم من أنكر عذاب القبر، ونعيمه، زاعمًا أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع:

من : الشرع، والحس، والعقل.

أما الشرع: منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ

تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام:الآية٩٣]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠].

وفي صحيح البخاري–من حديث–ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما"(١)، وذكر الحديث، وفيه: ((أن أحدهما كان لا يستتر من البول" وفي–رواية– " من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنميمة)).

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحيانًا مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى "وفاة" قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾[الزمر:الآية٤٢].

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي صلى الله عليه وسلم على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقًا ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيدًا عما رأى، فإن كان هذا ممكنًا في أحوال الدنيا ، أفلا يكون ممكنًا في أحوال الآخرة ؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم مِن عائبٍ قولًا صحيحًا وآفتُه مِن الفَهْمِ السَّقيمِ

---

١) رواه البخاري ، كتاب الوضوء باب : من الكبائر أن لا يستبرأ من بوله. ومسلم ، كتاب الطهارة باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الإستبراء منه.

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة ، وربما يتمثل له الملك رجلًا فيكلمه والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحًا حقيقيًا يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحيانًا، ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:الآية٤٤]، وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

القدَر: تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته.

الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلًا، أزلًا وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين.

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر:٦٢]،.

الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له:

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾[النبأ:الآية٣٩]، وقال : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[البقرة:الآية٢٢٣]، وقال في القدرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[التغابن:الآية١٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرِّق بين ما يقع: بإرادته كالمشي وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته لقول الله تعالى:﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨ – ٢٩].

ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

الإيمان بالقدر لا يمنح العبد حجة على ما تَرَكَ من الواجبات أو فَعَلَ من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام:١٤٨]، ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٦٥]، ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتفِ بإرسال الرسل؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما منكم من أحد إلا قد كُتِبَ مقعده من النار أو من الجنة))، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: ((لا اعملوا فكل ميسَّر، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[الليل:٥] [1] الآية. وفي لفظ لمسلم: ((فكلٌّ ميسَّر لما خُلِقَ له))[2]، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:الآية١٦]، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:الآية٢٨٦]، ولو كان العبد مجبرًا على الفعل لكان مُكلَّفًا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل أو نسيان أو إكراه فلا إثم عليه؛ لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنفي حجته بالقدر؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدو له بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحدًا؟

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

---

١) رواه البخاري ، كتاب التفسير.

٢) رواه مسلم ، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي. . . .

من ثمرات الإيمان بالقدر:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يُعجَب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح ، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة.

ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

الرد على الطائفة الأولى (الجبرية): بالشرع والواقع.

أما الشرع: فإن الله تعال أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[آل عمران:الآية١٥٢].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

الرد على الطائفة الثانية (القدرية): بالشرع والعقل .

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء ، وكل شيء كائن بمشيئة، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:الآية٢٥٣].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

الإحسان: ضد الإساءة، وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى، فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

–وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فأن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهذه العبادة –أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه– عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثًا عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى.

((فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) هذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان.

العبادة مبنية على أمرين: غاية الحب، وغاية الذل.

ففي الحب الطلب، وفي الذل الخوف والهرب. وهذا هو الإحسان في عبادة الله عز وجل.

وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه، فإنه سوف يكون مخلصًا لله – عز وجل – لا يريد بعبادته رياء ولا سمعة، ولا مدحًا عند الناس، وسواء اطلع الناس عليه أم لم يطلعوا، الكل عنده سواء، وهو محسن العبادة على كل حال.

معرفة النبي صلى الله عليه وسلم تتضمن خمسة أمور:

الأول: معرفته نسبًا. فهو أشرف الناس نسبًا، فهو هاشمي قرشي عربي، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ المصنِّف –رحمه الله–.

الثاني: معرفة سنِّه، ومكان ولادته، ومهاجَره.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة.

الرابع: بماذا كان نبياً ورسولًا؟ فقد كان نبيًا حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١ – ٥]، ثم كان رسولًا حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:١ – ٧]، فقام صلى الله عليه وسلم فأنذر وقام بأمر الله عز وجل.

الفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا[1].

الخامس: بماذا أُرسِل ولماذا؟ فقد أُرسِل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأُرسِل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد؛ حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

العروج: الصعود ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:الآية٤]، وهو من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم العظيمة التي فضله الله به قبل أن يهاجر من مكة.

١) وقال علماء آخرون: النبي والرسول كلاهما أُمِر بالتبليغ ولكن الفرق بينهما: أن النبي هو من يبعثه الله ليكمل شريعة من قبله من الرسل، وأما الرسول فهو من أُرسِل بشرع جديد.

صلى النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث سنين وكان يصلي الرباعية ركعتين، حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر.

كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة في شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه.

نزل النبي في بني عمرو بن عوف في قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم أرتحل إلى المدينة .

الهجرة في اللغة: مأخوذة من الهجر؛ وهو الترك.

الهجرة في الشرع: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. **وبلد الشرك** هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام؛ كالأذان والصلاة جماعة والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل، **وإنما قلنا على وجه عام شامل** ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة، فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام.

حكم الهجرة: واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر، فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

حكم السفر إلى بلاد الكفر:

السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجًا إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار؛ لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالًا كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلادًا سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

حكم الإقامة في بلاد الكفار:

الإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسين:

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ.

وأن يكون مضمرا لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعدًا عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم، مما ينافي الإيمان بالله. فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من أحب قومًا فهو منهم، وأن المرء مع من أحب[1].

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم؛ لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَن أحبَّ قومًا فهو منهم)).

١) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب : علامة حب الله عز و جل ومسلم ، كتاب الصلة، باب : المرء مع من أحب.

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يُمنَع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يُمنَع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة؛ لوجوب الهجرة حينئذ.

بعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه.

فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة غليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال صلى الله عليه وسلم: ((بلِّغوا عني ولو آية))[1].

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق ، وفوضوية السلوك ؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبيِّن للمعجبين بهم حقيقة حالهم.

وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضًا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن مُنِعَ من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابِلوا فعله بسبّ الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٠٨].

١) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم[1].

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات؛ فحكمها حكم ما أقام من أجله.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج؛ فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها –إقامة لحاجة– لكنها أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال، والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد.

فأما بعث الأحداث "صغار السن" وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيرًا من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم،

١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد ، باب غزوة الأحزاب.

وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق؛ لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقًّا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل. وفي الدعاء المأثور ((اللهم أرني الحق حقًّا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا عليَّ فأضل)).

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله؛ وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله، بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم.

فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله؛ لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم؛ لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد.

الزكاة: فُرِضَت أصلًا وتفصيلًا في المدينة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولًا في مكة لكنها لم تقدَّر أنصابها ولم يقدَّر الواجب فيها، وفي المدينة قدِّرت الأنصباء وقدِّر الواجب.

الظاهر أن الجماعة لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة،

توفي النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة.لما نزل به جعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقوله: ((لا إله إلا الله، إن للموت سكرات))، ثم شَخَصَ بصره نحو السماء وقال: ((اللهم في الرفيق الأعلى))[1]. ثم كُفِّنَ صلى الله عليه وسلم بثلاث أثواب –أي لفائف– بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه إرسالًا بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبايعة الخليفة من بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسلم.

أكمَلَ الله بالنبي صلى الله عليه وسلم الدين، والدليل قوله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾، حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: "ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم طائرًا يقلب جناحية في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا"[2].

الدليل على موته صلى الله عليه وسلم: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر: ٣٠ – ٣١].

---

١) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

٢) أخرجه الإمام أحمد ١٦٣/٥.

من الأدلة على البعث:

١–قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[سورة طه، الآية: ٥٥].

٢–وقوله تعالى-: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾[نوح:١٧ – ١٨].

من الأدلة على الحساب والجزاء:

١–٠قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧ – ٨].

٢–وقول تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام:١٦٠]، وهذا من كمال فضل الله وإحسانه.

من كذب بالبعث فهو كافر، ومن الأدلة على ذلك:

١–قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[الأنعام:٣٠].

٢– وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[سورة التغابن ، الآية: ٧].

إقناع المنكرين بالبعث يكون بما يأتي:

أولًا: أن أمر البعث تواتَر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية والشرائع السماوية، وتلقته أممهم بالقَبول، فيكف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل ولا في شهادة الواقع ؟

ثانيًا: أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك عن وجوه:

١- كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقًا بعد العدم، وأنه حادِث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم: من الآية٢٧].

٢-كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى؛ قال الله تعالى : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر: من الآية٥٧].

٣-كل ذي بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات، فإذا نزل المطر عليها أخصبت وحيي نباتها بعد الموت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فصلت:٣٩].

ثالثًا: أن أمر البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع احياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث.

رابعًا: أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثًا لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة. قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[المؤمنون:١١٥- ١١٦].

أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[سورة النساء، من الآية: ١٦٥] يبشرون من أطاعهم بالجنة، وينذرون من خالفهم بالنار.

إرسال الرسل له حكم عظيمة، من أهمها بل هو أهمها:

١–أن تقوم الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

٢–ومنها: أنه من تمام نعمة الله على عباده. فإن العقل البشري مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ماله من الأسماء الحسنى، ولهذا أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

أعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم: التوحيد؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: من الآية٣٦].

أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[سورة النساء، الآية: ١٦٣].

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[الأحزاب:٤٠]، فلا نبي بعده. ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

بعث الله في كل أمة رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن الشرك، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر: من الآية٢٤]، وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: من الآية٣٦].

الطاغوت: مشتق من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[الحاقة:١١] يعني لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

الطاغوت اصطلاحًا: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

(المطاع) هم الأمراء الذين يطاعون شرعًا أو قدرًا.

الناس مع حكامهم في هذه المسألة لهم أحوال:

الحال الأولى: أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني.

الحال الثانية: أن يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني.

الحال الثالثة: أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادع السلطاني.

الحال الرابعة: أن يقوى الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني.

رؤوس الطواغيت –أي زعمائهم ومقلَّدوهم– خمسة:

١–**إبليس**: وهو الشيطان الرجيم اللعين الذي قال الله له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[ص:٧٨].

٢–**مَن عُبِدَ وهو راضٍ**، أي عبد من دون الله وهو راضٍ أن يُعبَد من دون الله، فإنه من رؤوس الطواغيت – والعياذ بالله –، وسواء عُبِدَ في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راضٍ بذلك.

٣–**مَن دعا الناس إلى عبادة نفسه**؛ وإن لم يعبدوه، فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أُجِيب لما دعا إليه أم لم يُجَب.

٤–من ادَّعى شيئًا من علم الغيب.

الغيب: ما غاب عن الإنسان، وهو نوعان: واقع، ومستقبل.

فغيب الواقع: نسبي يكون لشخص معلومًا ولآخر مجهولًا. **وغيب المستقبل**: حقيقي، لا يكون معلومًا لأحد إلا الله وحده أو من أطلَعَهُ عليه من الرُّسل، **فمن ادّعى علمه فهو كافر**؛ لأنه مكذِّبٌ لله عز وجل ولرسوله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل:٦٥].

٥-مَن حكم بغير ما أنزل الله.

الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه. لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، قال سبحانه: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣١]، قال عدي بن حاتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم لم يعبدوهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((بل إنهم حرَّموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فتلك عبادتهم إياهم))[١].

من لم يحكم بما أنزل الله وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه، وفسقه.

-فأما القسم الأول:

فمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [سورة النساء، الآية ٦٠].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[النساء، الآية ٦٥] أقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي هي أخص أنواع الربوبية والتي

١) رواه الترمذي وحسنه ، كتاب التفسير سورة التوبة ، ٢٦٢/٥.

تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته صلى الله عليه وسلم، **أقسم بها قسمًا مؤكدًا أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:**

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف.

-وأما القسم الثاني:

فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: من الآية٤٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة: من الآية٤٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون﴾[المائدة: من الآية٤٧]. وهذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله:

١-فمَن لم يحكم بما انزل الله استخفافًا به، أو احتقارًا، أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله؛ فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة.

٢-ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر، وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

٣-ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافًا بحكم، الله، ولا احتقارًا، ولا اعتقادًا أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر، وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

فهناك فرق بين المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًا والمسألة المعيَّنة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله؛ لأن المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًا لا يتأتى فيها التقسيم السابق، وإنما هي من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع تشريعًا يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية __رحمه الله – فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله أنهم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال – كذا العبارة المنقولة عنه –ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبيَّن له الحق؛ لأن المسألة خطيرة، نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم.

كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبيِّنه لهؤلاء الحكام؛ لتقوم الحجة عليهم وتتبيَّن المحجة، فيهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى من حي عن بيِّنة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحدًا فيه، فإنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

من الادلة على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت: قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[البقرة: من الآية٢٥٦].

لا إكراه في الدين؛ لظهور أدلَّته وبيانها ووضوحها، ولهذا قال بعده:﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ فإذا تبيَّن الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة لا بد أن تختار الرشد على الغي.

وبدأ الله عز وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ولهذا يقال التخلية قبل التحلية.

العروة الوثقى: هي الإسلام. وقال عز وجل: ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾، ولم يقل: (تمسَّك)؛ لأن الاستمساك أقوى من التمسك، فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وعموده الصلاة)) لأنه لا يقوم إلا بها، ولهذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة وأنه ليس له الإسلام.

((وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)) أي أعلاه وأكمله الجهاد في سبيل الله، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.